

جبران خليل جبران ٥٩

وكان سكان القرى يكرمون الخوري سمعان ، ويرتاحون الى ابتياع عظامه وصلواته بالفضة والذهب ، ويتسابقون الى إهدائه أطيب ما تشره أشجارهم ، وأفضل ما تنبتة حقوقهم .

ففي عشية يوم من أيام الخريف ، وقد كان الخوري سمعان في مكان خالٍ نحو قرية منفردة ، بين تلك الجبال والأودية ، سمع أنيباً موجعاً آتياً من جانب الطريق ، فالتفت ، فاذا برجل عاري الجسم منطرح على الحصاء ، ونجيب الدم يتدفق من جراح بليغة في رأسه وصدره ، وهو يقول مستنجداً : « إنقذني ، أعنسي ، اشفق عليّ فأنا مائت ! » .

فوقف الخوري سمعان محتاراً ، ونظر الى الرجل المتوجع ، ثم قال في ذاته (١) : هذا أحد اللصوص الأشقياء . وأظن أنه قد حاول سلب عابري الطريق ، فغلب على أمره ... فهو منازع ، فاذا مات وأنا بقربه اتهمت بما أنا براء منه !

قال هذا ، وهم ليتابع السير ، فأوقفه الجريح بقوله : « لا تتركني لا تتركني ، أنت تعرفني وأنا أعرفك ، أنا مائت لا محالة ! » .

فقال الخوري في ذاته ، وقد اصفر وجهه ، وارتعشت شفثاه : « أظنه أحد المجانين الذين يتوهون (٢) في البرية » . ثم عاد وقال لنفسه : « ان منظر جراحه يخيفني ،

(١) ذاته : نفسه . (٢) يتوهون : أي يهيمون ضائعين .